كتاب

بغية القاصدين

﴿ لفضائل إحياء علوم الدين ﴾

(ويليه)

﴿ المنقذ من الضلال ﴾

لحجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد
الغزالي الطوسي المتوفى سنة

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٩ ﴾

(على نفقة محمد يونس كرتي الكتبي وشركاه في مدينة بمبي الهند)

﴿ طبع بالمطبعة الجمالية بمصر ﴾

(الكائنة بحارة الروم بعطفة التتري)

لاصحابها محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه ـــ وأحمد عارف)



الحمد لله الذي وفق لنشر المحاسن وطيها في كتاب حمد فيه عبد جعل ذلك قرة لأعين الأحباب، وذخيرة ليوم المآب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أحيا باحياء الشريعة والطريقة قلوب ذوي الألباب، وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الاصحاب، ما أشرقت شمس الاحياء للقلوب، وتوجهت همة روحانية مصنفه الولي الموهوب، الى اسعاف ملازمي مطالعته ومحبيه بالمطلوب.

﴿أما بعد﴾ فان الكتاب العظيم الشأن المسمى باحياء علوم الدين، المشهور بالجمع والبركة والنفع بين العلماء العاملين، وأهل طريق الله السالكين، والمشايخ العارفين، المنسوب الى الامام أبي حامد محمد الغزالي رضي الله عنه عالم العلماء، وارث الانبياء، حجة الاسلام، حسبنة الدهور والأعوام. تاج المجتهدين، سراج المهتدين، مقتدى الأئمة مبين الحل والحرمة زين الملة والدين الذي باهى به سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء ورضي الله عن الغزالي وسائر العلماء المجتهدين.

لما كان عظيم الوقع، كثير النفع، جليل المقدار ليس له نظير في بابه ولم ينسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله، مشتملا على الشريعة والطريقة

والحقيقة، كاشفاً عن الغوامض الخفية مبيناً للاسرار الدقيقة، رأيت ان أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صبابة من فضله وشرفه، ورشحة من فضل جامعه ومصنفه، ورتبتها على مقدمة ومقصد وخاتمة فالمقدمة في عنوان الكتاب والمقصد في فضائله وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما أشكل منه وطعن بسببه فيه والخاتمة في ترجمة المصنف رضي الله عنه وسبب رجوعه الى الطريقة

﴿ المقدمة في عنوان الكتاب ﴾

اعلم أن علوم المعاملة التي يتقرب بها الى الله تعالى تنقسم الى ظاهرة وباطنة * والظاهرة قسمان معاملة بين العبد وبين الله ومعاملة بين العبد وبين الخلق * والباطنة أيضاً قسمان ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة وقد بنى الامام الحجة الغزالي رحمه الله تعالى كتاب إحياء علوم الدين على هذه الأربعة الأقسام فقال في خطبته : ولقد أسسته على أربعة أرباع وهي ربع العبادات . وربع العادات . وربع المهلكات . وربع المنجيات .

فاما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب . كتاب العلم كتاب قواعد العقائد . كتاب أسرار الطهارة . كتاب أسرار الصلاة . كتاب أسرار الزكاة . كتاب أسرار الحج . كتاب أسرار الصيام . كتاب تلاوة القرآن . كتاب الاذكار والدعوات . كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب . كتاب آداب الأكل . كتاب آداب النكاح . كتاب آداب الكسب . كتاب الحلال والحرام .

كتاب آداب الصحبة . كتاب العزلة . كتاب آداب السفر . كتاب آداب السماع والوجد . كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كتاب أخلاق النبوة

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب . كتاب شرح عجائب القلب . كتاب رياضة النفس . كتاب آفة الشهوتين البطن والفرج . كتاب آفة اللسان . كتاب آفة الغضب والحقد والحسد . كتاب ذم الدنيا . كتاب ذم المال والبخل . كتاب ذم الجاه والرياء . كتاب ذم الكبر والعجب . كتاب ذم الغرور

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب . كتاب التوبة . كتاب الصبر والشكر . كتاب الخوف والرجاء . كتاب الفقر والزهد . كتاب التوحيد والتوكل . كتاب المحبة والشوق والرضا . كتاب النية والصدق والاخلاص . كتاب المراقبة والمحاسبة . كتاب التفكر . كتاب ذكر الموت

ثم قال رضي الله عنه : فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها مايضطر العالم العامل اليها بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليها وأكثر ذلك مما أهمل في الفقهيات

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات التجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر في كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات

التي بها تعرف ثم طرق المعالجة التي منها بها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد من الآيات والأخبار والآثار

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي يتقرب بها العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتنب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ماورد فيها من شواهد الشرع والعقل .

﴿ المقصد في فضل الكتاب المشار اليه وبعض المدائح والثناء من ﴾
﴿ الاكابر عليه والجواب عما أشكل منه وطعن بسببه فيه ﴾

اعلم ان فضائل الاحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حسابها لا تسقصى جمع الناس مناقبه فقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردها فيما علمت بتأليف وهي جديرة بالتصنيف غاص مؤلفه رضي الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر المعاني ثم لم يرض الا بكبارها وجال في بساتين العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن اقتطف من أزهارها وسما الى سماء المعاني فلم يصطف من كواكبها الا السيارة وجليت عليه عرائس أسرار المعاني فلم ترق في عينيه منهن إلا بادية النضارة جمع رضي الله عنه فاوعى وسعى في إحياء علوم الدين فشكر الله له ذلك المسعى فلله دره من عالم محقق مجيد وإمام جامع أشتات الفضائل محرر فريد لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد وقد أغرب فيما أعرب فيه من الأمثلة والشواهد وقد أجاد فيما أفاد فيه وأملا بيد انه في

العلوم صاحب القدح المعلا إذ كان رضي الله عنه من أسرار العلوم بمحل لا يدرك وأين مثله وأصله أصله وفضله فضله

هيهات لا يأت الزمان بمثله   ان الزمان بمثله لشحيح

وما عسيت أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ونظم شتات الفضائل وأخذ برقاب المحامد واستولى على غايات المناقب فشجرته في فوارة العلم والعمل والعلا والفهم والذكاء أصلها ثابت وفرعها في السماء مع كونه رضي الله عنه ذا الصدر الرحيب والقريحة الثاقبة والدراية الصائبة والنفس السامية والهمة العالية ﴿ذكر﴾ الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي رحمة الله عليه ان الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمني سأل عن تصنيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين (وذكر) اليافعي أيضاً ان الشيخ الامام الكبير أبا الحسن بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي كان قد بلغ الغاية في الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجميع ما ظفر به من نسخ الاحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى تلك الليلة كأنه دخل الجامع فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والامام الغزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالي هذا خصمي يارسول الله فان كان الأمر كما زعم تبت الى الله وان كان شيئاً حصل لي ببركتك واتباع سنتك فخذلي حقي من خصمي ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الاحياء فتصفحه عليه الصلاة والسلام ورقة ورقة

من أوله الى آخره ثم قال والله ان هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضي الله عنه فنظره فاستجاده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق انه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق رضي الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه علي بن حرزهم عن القميص وان يضرب ويحد حد المفتري فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضي الله عنه وقال يارسول الله لعله ظن أنه خلاف سنتك فأخطأ في ظنه فرضي الامام الغزالي وقبل شفاعة الصديق رضي الله عنه ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط في ظهره وأعلم أصحابه وتاب الى الله تعالى من إنكاره على الامام الغزالي واستغفر ولكنه بقي مدة طويلة متألماً من أثر السياط وهو يتضرع الى الله تعالى ويتشفع برسول الله الى أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفي وشفي باذن الله تعالى ثم لازم مطالعة إحياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من كبار المشائخ أهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله (قال) اليافعي روينا ذلك بالاسانيد الصحيحة فأخبرني بذلك ولي الله عن ولي الله عن ولي الله عن ولي الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين احمد بن البلق الشاذلي عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت الشاذلي عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله أبي العباس المرسي عن شيخه الشيخ الكبير شيخ الشيوخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله أرواحهم وكان معاصراً لابن حرزهم (قال) وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي: ولقد مات الشيخ أبو الحسن بن حرزهم رحمه الله يوم مات وأثر السياط ظاهرة في ظهره (وقال) الحافظ

ابن عساكر رحمه الله وكان أدرك الامام الغزالي واجتمع به قال : سمعت الامام الفقيه الصوفي سعد بن علي بن أبي هريرة الاسفرائيني يقول: سمعت الشيخ الامام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح الثاوي بمكة المشرفة يقول: دخلت المسجد الحرام يوماً فطرأ عليّ حال وأخذني عن نفسي فلم أقدر عن أن أقف ولا أجلس لشدة مابي فوقعت على جنبي الأيمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة وكنت أطرد عن نفسي النوم فأخذتني سنة وأنا بين النوم واليقظة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في أكمل صورة واحسن زي من القميص والعمامة ورأيت الأئمة الشافعي ومالكا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله تعالى يعرضون عليه مذاهبهم واحدا بعد واحد وهو صلى الله عليه وسلم يقررهم عليها ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بطرده واهانته فتقدمت أنا وقلت يارسول الله هذا الكتاب أعني إحياء علوم الدين معتقدي ومعتقد أهل السنة والجماعة فلو أذنت لي حتى أقرأه عليك فاذن لي فقرأت عليه أول كتاب قواعد العقائد حتى انتهيت الى قول الغزالي وان الله تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة العرب والعجم والجن والانس فرأيت البشاشة في وجهه عليه الصلاة والسلام ثم التفت وقال اين الغزالي واذا بالغزالي واقف بين يديه فقال ها أناذا يارسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالي يقبلها ويتبرك بها وما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشد سرورا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتي عليه الاحياء ثم انتبهت والدمع يجري من عيني من أثر

تلك الأحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم بمذاهب أئمة السنة واستبشاره بعقيدة الغزالي وتقريرها نعمة من الله عظيمة ومنة جسيمة نسأل الله تعالى أن يحيينا على سنته ويتوفانا على ملته آمين .

﴿ فصل ﴾ أثنى على الاحياء غير عالم من علماء الاسلام وغير واحد من عارفي الأنام بل جمع أفراد وأقطاب فقال فيه الحافظ الامام الفقيه العراقي انه من أجل كتب الاسلام في معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الأحكام ونزع الى سرائر دقت عن الأفهام لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ولم يبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع الى الساحل بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن ومرج معانيهما في أحسن المواطن وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه وسلك فيه من النمط أوسطه مقتديا بقول علي رضي الله عنه وكرم وجهه : خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي الخ ماذكره مما الأولى بنا في هذا المحل طيه ثم الانتقال الى نشر محاسن الاحياء ليظهر للمحب والمبغض رشده وغيه (وقال) عبد الغافر الفارسي في مثال الاحياء : انه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق اليها (وقال) فيه النووي: كاد الاحياء ان يكون قرآنا (وقال) الشيخ أبو محمد الكازروني: لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الاحياء (وقال) بعض علماء المالكية : الناس في حاجة فضيلة لعلوم الغزالي والاحياء جماعها كما سيأتي انه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشان تاج العارفين قطب الاولياء مولانا الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله تعالى عنه يكاد يحفظه نقلا (وروي) عنه أنه رضي الله عنه انه قال: مكثت سنين أطالع كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده

وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفهومات غزيرة غير التي قبلها ولم يسبقه رضي الله عنه ولم يلحقه أحد أثنى على كتاب الاحياء بما أثنى عليه ودعا الناس بقوله وفعله اليه وحث الناس على التزام مطالعته والعمل بما فيه . ومن كلامه رضي الله عنه فيه: عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنة أعني الشريعة المشروحة في كتب الغزالي خصوصاً كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس . ومن كلامه رضي الله عنه عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخراً وظاهراً وباطناً وفكراً واعتقاداً وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى ونفعنا به . ومن كلامه: وبعد فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الاسلام الغزالي في كتابه العظيم الشأن الملقب أعجوبة الزمان إحياء علوم الدين الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة . ومن كلامه رضي الله عنه : عليكم بملازمة كتاب إحياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضى الله فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسوله ومحبة ملائكته وأنبيائه وأوليائه وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة في الدنيا والآخرة وصار عالماً في الملك والملكوت . ومن كلامه الوجيز العزيز : لو بعث الله الموتى لما وصوا الاحياء إلا بما في الاحياء . ومن كلامه: اعلموا أن مطالعة الاحياء تحضر القلب الغافل في لحظة كحضور سواد الحبر بوضع الزاج في العفص والماء وتأثير كتب الغزالي واضح ظاهر مجرب عند كل مؤمن . ومن كلامه : أجمع

العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب لرضا الرب تعالى من متابعة حجة الاسلام الغزالي ومحبة كتبه فان كتب الغزالي لباب الكتاب والسنة والباب المعقول والله وكيل على ما أقول . ومن كلامه : أنا أشهد سراً وعلانية أن من طالع إحياء علوم الدين فهو من المهتدين . ومن كلامه : من أراد طريق الله وطريق رسوله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصاً إحياء علوم الدين فهو البحر المحيط . ومن كلامه : اشهدوا على ان من وقع على كتب الغزالي خصوصاً فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة . ومن كلامه: من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما فعليه بمطالعة كتب الغزالي وخصوصاً البحر المحيط إحياءه أعجوبة الزمان . ومن كلامه: نطق معاني معنوي القرآن ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والانبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأوامر الله الأتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين بل جميع سر حقائق الكائنات والمعقولات وما يناسب رضى الذات والصفات أجمع هؤلاء المذكورون ان لا شيء أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأنقى وأقرب الى رضى رب العالمين كمتابعة الغزالي ومحبة كتبه وكتب الغزالي قلب الكتاب والسنة بل قلب المعقول والمنقول وأنفع يوم ينفخ اسرافيل في الصور وفي يوم نقر الناقور والله وكيل على ما أقول وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . ومن كلامه: كتاب إحياء علوم الدين فيه جميع الاسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الاربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم

وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق الى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه النور . ومن كلامه : السر كله في الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان . ومن كلامه: بخ بخ بخ لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه . وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الامام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصاً إحياء علوم الدين . وقد كان سيدي وولييّ الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ ابن عبد الله العيدروس رضي الله عنه يقول : ان أمهل الزمان جمعت كلام الشيخ عبدالله في الغزالي وسميته الجوهر المتلالي وأرجو أن يوفقني الله لذلك تحقيقا لرجائي وليتناولني دعاء الشيخ عبدالله رضي الله عنه فانه قال غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي وناهيك ببشارة في هذه العبارة التي برزت من وليّ عارف وقطب مكاشف لا يجازف في مقال ولا ينطق الا عن حال وفي هذا من الشرف للغزالي وكتبه مالا يحتاج معه الى مزيد ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ فان العظيم عين العظيم في عظيم ولا يعرف الفضل الا أهل الفضل واذا تصدى العيدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف والشهادة منه خير من شهادة الف الف .

وقد حصل من الاحياء في زمانه نسخ عديدة حتى أن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ علي على قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للقراء وطلبة العلم الشريف ثم الشيخ علي ألزم ولده الشيخ عبدالرحمن قراءته عليه مدة حياته فختمه أيضاً عليه خمساً وعشرين

مرة وكان ولده الشيخ أبي بكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الاحياء أبداً ما عشت حتى اجتمع عنده نحو عشر نسخ (قلت) وكذلك كان سيدي الشيخ الوالد شيخ ابن عبدالله ابن شيخ بن عبد الله العيدروس رضي الله تعالى عنهم قد أكثر من مطالعته وحصل منه نسخاً عديدة نحو السبع وأمر بقراءته عليه غير مرة وكان يعمل في ختمه ضيافة عامة فملازمته ميراث عيدروسي وتوفيق قدوسي فمن وفقه الله لامتثاله والعمل بما فيه واستعماله بلغ الرتبة العليا وحاز شرف الآخرة والدنيا (وقال) السيد الكبير العارف بالله الشهير علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف رضي الله تعالى عنه لو قلب أوراق الاحياء كافر لأسلم ففيه سر خفي يجذب القلوب شبه المغناطيس وهو صحيح فاني مع حضيض قصدي وقساوة قلبي أجد عند مطالعتي له من انبعاث الهمة وعروض النفس عن الدنيا مالا مزيد عليه ثم يفتر برجوعي الى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكشوفات ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ وما ذاك الا لشيء أودعه الله تعالى فيه وسر نفس مصنفه وحسن قصده والمراد بالكافر هنا فيما يظهر عند أهل المعرفة بعيوب النفس المحجوب عن ادراك الحقائق فبمجرد مطالعته للكتاب المذكور ينشرح الله صدره وينور قلبه وذلك لأن الوعظ اذا صدر عن قلب متعظ كان حرياً أن يتعظ به سامعه وكما أن الله جعل لعباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لأن ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة

وهممهم علية وإشاراتهم سنية حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة اذا أخذت عنهم وللمواعظ منهم لتأثير في القلوب ظاهر ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر حتى نجد الرجل له العلم القليل ينفع به كثيراً لحسن نيته ووجود بركته وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لانه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجده أمراً ظاهراً معهوداً وشيئاً مجرباً موجوداً فانظر الى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله والتنبيه في مذهب الشافعي رحمه الله والجمل في العربية والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن ماحوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضعاف مافيها مع تحقيق تحرير العبارة وتدقيق المعاني وتلخيص الحدود ومع هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يضعه الله في القلب.

ومما أنشده الشيخ علي بن الشيخ ابي بكر رضي الله عنهما لنفسه في قوله

أخيّ انتبه والزم سلوك الطرائق وسارع الى المولى بجد وسابق
وادخل لحان القوم واربع بحيهم واشرب حميا صفو بحر الحقائق
تفز بالمعالي والأمانيّ والرضا وتحظى من المولى بمنح الخوارق
وان رمت بدرا مشرقاً بمعارف بباهر حسن جاذب للخلائق
عليك بأحياء العلوم لديننا فكم قد حوت أسراره من دقائق

وكم من درار فيه أشرق حسنها ‏ وكم من مليحات سرور لحاذق
كتاب جليل فاق كل مصنف ‏ جميل بديع الصنع في الحسن فائق
معانيه أضحت كالبدور سواطع ‏ على در لفظ للمعاني مطابق
وكم في بديع اللفظ تجلى عرائس ‏ وكم من شموس في حماه شوارق
وكم من خرود قدذهت في قبابها ‏ محجبة من غير كفوء مسابق
وكم من لطيف مع بديع وتحفة ‏ حلاوتها كالشهد تحلو لذائق
بساتين عرفان وروض لطائف ‏ وجنات أنواع العلوم الفوائق
رعى الله صباً راتعا في رياضها ‏ يروح ويغدو بين تلك الحدائق
ويقطف من زاكي جناها فواكها ‏ بساحل بحر بالجواهر دافق
خضم طما حتى على فوق من على ‏ بشامخ مجد مشرق بالحقائق
عليك بها دوماً وثابر ولاءها ‏ وأقبل على تلك الغواني وعانق
وسرح لطرف في بديع جمالها ‏ ومجد لحسن مدهش للخلائق
فكم أنهلت صباً وكم قشعت عمًا ‏ وكم قصمت ظهراً لخصم مشاقق
وكم للهدى والرشد ردت لجاحد ‏ وكم قدسعت في غربها والمشارق
فيمضي براح الحب سكران مغرماً ‏ أصم عن العزّال غير موافق
ويمسي مناديها طريحا ببابها ‏ منعم عيش في الربوع الغوادق
صلاة على سر الوجود شفيعنا ‏ محمد المختار خير الخلائق
واصحابه اهل المكارم والعلا ‏ وعترته ورّاث علم الحقائق

﴿فصل﴾ وأما ما أنكر عليه فيه من مواضع مشكلة الظاهر وفي التحقيق لا أشكال وأخبار وآثار تكلم في سندها .

فأمامن جهة تلك المواضع فما أجاب المصنف نفسه عنها في كتابه المسمى بالأجوبة وأسوق لك نبذة من ذلك هنا (قال) رضي الله عنه: سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الاولياء تحل مغانيها عن بعض ماوقع في الاملاء الملقب بالاحياء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطغام وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بالهوى مجرداً على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه الى ضلال وإضلال ورموا قراءه ومسجليه بزيغ عن الشريعة واحتيال الى ان قال (ستكتب شهادتهم ويسألون. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المتعرضين بما حاصله يرجع الى الحسد والى الجهل وقلة الدين وفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقة بأربعة . الجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الاربعة المذكورة حيث قال فالجهل أورثهم السخف الى آخر ماذكره .

(وأما) ما اعترض به من تضمينه أخباراً وآثاراً موضوعة أو ضعيفة وإكثاره من الأخبار والآثار والاكثار يتحاشا منه المتورع لئلا يقع في الموضوع . فحاصل ما أجيب به عن الغزالي كما قاله نخبة المحبين الحافظ العراقي ان أكثر ماذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبريا بنحو تضعيفه

(وأما) الاعتراض فساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل وكتابه في الرقائق وهو من قبيلها ولأن له أسوة بأئمة الأمة الحفاظ في اشتمال كتبهم على الضعيف بكثرة البينة على ضعفه تارة والسكوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهي كتب الأحكام لا الفضائل يوردون فيها الأحاديث الضعيفة ساكتين عليها حتى جاء النووي رحمه الله تعالى في المتأخرين ونبه على ضعف الحديث وخلافه كما أشار الى ذلك كله العراقي (قال) عبدالغافر الفاسي سبط القشيري: ظهرت تصانيف الغزالي وفشت ولم يبد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا لما آثره الى آخر ماذكره . ومما يدل كذلك على جلالة كتب الغزالي مانقله ابن السمعاني من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث تحدث في جهة المغرب بدعة الأمر باحراق كتبه ومن أنه لما دخلت مصنفاته الى المغرب أمر سلطانه علي بن يوسف باحراقها لتوهمه اشتمالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره في مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد في عكس ونكد بعد أن كان عادلا .

(خاتمة) في الاشارة الى ترجمة المصنف رضي الله تعالى عنه وعنا به ونفعنا بعلومه وأسراره وسبب رجوعه الى طريقة الصوفية رضي الله عنه

(أما) ترجمته فهو الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الذي نشر فضله في الآفاق وفاق ورزق الحظ في حسن

التصانيف وجودتها والنصيب الأكبر في جزالة العبارة وسهولتها وحسن الاشارة وكشف المعضلات والتبحر في أصناف العلوم فروعها وأصولها ورسوخ القدم في منقولها ومعقولها والتحكم والاستيلاء على إجمالها وتفصيلها مع ماخصه الله به من الكرامة وحسن السيرة والاستقامة والزهد والعروض عن زهرة الدنيا والاعراض عن الجاهات الفانية وإطراح الحشمة والتكلف (قال) الحافظ العلامة ابن عساكر والشيخ عفيف الدين عبد الله ابن أسعد اليافعي والفقيه جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي رحمهم الله تعالى: ولد الامام الغزالي بطوس سنة خمسين وأربعمائة وابتدأ بها في صباه بطرف من الفقه ثم قدم نيسابور ولازم دروس إمام الحرمين وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه وجلس للاقراء وإرشاد الطلبة في أيام إمامه وصنف. وكان الامام يتحجج به ويعتد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلاً عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته. وكانت حضرة نظام الملك محطاً لرحال العلماء ومقصداً للأئمة والفضلاء. ووقع للامام الغزالي فيها اتفاقات حسنة من مناظرة الفحول فظهر اسمه وطارصيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير الى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فسار اليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار إمام العراق بعد ان حاز إمامة خراسان وارتفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة. ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج كما كان فيه من الجاه والحشمة مشتغلا لأسباب التقوى وأخذ في التصانيف المشهورة التي

لم يسبق اليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التى من تأملها عرف محل مصنفها من العلم.

(قيل) إن تصانيفه وزعت على أيام عمره وأصاب كل يوم كراس ثم سار الى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الشمائل حتى مرن على ذلك ثم عاد الى وطنه طوس ملازماً بيته مقبلا على العبادة ونصح العباد وإرشادهم ودعائهم الى الله والاستعداد للدار الآخرة يرشد الضالين ويفيد الطالبين دون أن يرجع الى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة . وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاثنين لرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة * خصه الله تعالى بأنواع الكرامة في أخراه كما خصه الله بها في دنياه


Bibliotheca Alexandrina
05737720